أشعيا ١١: ١-٩

"ويَخرُجُ غُصنٌ مِن جِذعِ يَسَّى..."

الأب سمير بشارة اليسوعيّ

يُعتبَر نصّ أش ١: ١-١١ من أبرَز النصوص "المَسيحانِيّة". إطاره التاريخيّ واضح: نحن في زمَن انتِظار مَجيء مُخَلّص يُحرّر إسرائيل مِن نِير الاحتلال الأشوريّ (قرن ٨ ق. م). يَتألّف النَشيد مِن خمسَة أقسام تَتعاقَب حسَب ديناميكيّة لاهوتيّة:

أ-"هويّة" المسيح (آ ١)؛

ب-"دعوة" المسيح (آ ٢-٣أ)؛

ج- "رسالة" المسيح (٣ب-٥)؛

د- "السلام الشامل" (آ ٦-٨)؛

هـ- "الخلق الجديد" (آ ٩).

سنعالج - في إطار هذه المحاضرة - كلّ قسم تدريجيًّا، وننهي بطرح بعض التساؤلات.

أ- "هويّة" المَسيح

"ويَخرُجُ غُصنٌ مِن جِذعِ يَسَّى، وَينْمي فَرعٌ مِن أُصولِه" (١).

تتّبع بُنية هذه الآية الافتتاحيّة تَوازيًا متناوبًا يتمَحور حَول كلمَة مَركزيّة:

ويَخرُجُ
| غُصنٌ
| | مِن جذعِ
| | | يَسَّى
| | مِن أُصولِه
| فَرعٌ وَينْمي

إنّ "يَسّى" هو أبو داود وجَدّ جَميع مُلوك يهوذا: يَرِد اسم "يَسّى" ٥٠ مرّة في الكتاب المقدّس، مِنها ٤٠ مرّة بصفته "أب لداود"...: على المَسيح المُنتظَر أن يكون **مَلِكاً** إذًا، ومن سُلالة داود "بنِ يَسّى" !

ب- "دعوة" المَسيح

"ويَحِلُّ علَيه روحُ الرَّبّ
روحُ الحِكمَةِ والفَهْم
روحُ المَشورَةِ والقُوَّة
روحُ المعرفةِ والتَقوى
ويوحي لَه مَخافَةَ الرَّبّ" (٢-٣آ).

يفتتِح هذا القِسم ويختُمه فِعلان مُرتبطان بعَمل الروح: "يَحِلُّ علَيه" - "يوحي لَه".

لا يتميّز المَلك بأيّ عَمل أو نَشاط ("حلّ عليه"؛ "أوحي له")، بل هو في حالة استِسلام كلّي.

ليست الدعوة هنا بمثابة "وظيفة" أو "عمل إراديّ"، بل "وضع داخليّ" يتجاوب فيه المَلك مع نِداءٍ خاصّ هو: "الولاء" و"الخضوع" لمواهِب الروح.

يتفرّع الروح إلى سبع "مواهِب" (حسب الترجمة السبعينيّة) - تتوزّع بشكل ثُنائيّ - وتُجَهِّز المَلك لِيَتوَلّى مسؤوليّتَه على أكمل وجه: روح "الحِكمَةِ والفَهْم"، روح "المَشورَةِ والقُوَّة"، روح "المعرفةِ والتَقوى"، و"مَخافة" الربّ. بحسَب التقليد الربّانيّ:

- "الحِكمَة والفَهم" يُجهّزان المَلك ذهنيًّا:

الحِكمَة: هي التصرّف الحَسن بحسَب مَشيئة الله؛ والفَهم: هو التَمييز الداخليّ في سَبيل الحَقّ.

- "المَشورَة والقُوّة" يُجهّزان المَلك إداريًّا:

المَشورَة: هي في حُسن الإدارة والقِيام بالمَشاريع الصالِحة؛ والقُوّة: هي في الطاقة والزخَم اللذين يُسَهّلان التَنفيذ.

– "المَعرفة والتَقوى" يُجهّزان المَلك روحيًّا:

المَعرفة: هي في مَحبّة الله والطاعَة له؛ والتَقوى: هي في الصِدق الداخليّ والأمانَة لله

– تَختُم هذه المَواهب "المَخافة": وهي الوَرَع الإلهيّ والثِقة بالله.

غَنيٌّ بكلّ هذه المَواهب، يَستطيع المَلك أن يقومَ برِسالتِه أحسَنَ قِيام.

ج– "رِسالة" المسيح

"فلا يَقْضي بِحَسَبِ رُؤيةِ عَينَيه ولا يَحكُمُ بِحَسَبِ سَماعِ أُذُنَيه
بل يَقْضي لِلضُّعَفاءِ بِالبِرّ ويَحكُمُ لِبائِسي الأَرض بِالاستِقامة
ويَضرِبُ الأَرض بِقَضيبِ فَمِه ويُميتُ الشَريرَ بِنَفَسِ شَفَتَيه.
ويَكونُ البِرّ حِزامَ حَقْوَيه والأَمانَةُ حِزامَ خَصرِه" (٣ب–٥).

تَتَضمّن رِسالة المَلك مَهامًّا وتَحدِّيات يُشير إليها سَبع أفعال تترادَف أيضًا بشَكل ثُنائيّ:

لا يَقضي – لا يَحكُم // يَقضي – يَحكُم // يَضرب – يُميت // يَكون تعبّر هذه الأفعال المتصاعدة عن "دراما الرسالة" التي على الملك أن يواجهها.

يَختُم الفعل "يكون" سِلسلة هذه الأفعال المتناوبة ويشير إلى عَمل الروح المطلق الذي يحتلّ "كيان" المَلك بكامله: "العَينَين – الأذنَين – الفَم – النَفَس – الشَفتَين – الحَقوَين – الخَصر"، "سبع مُصطلحات" تَدلّ على انسِجام المَلك الكلّيّ والحِسّيّ مع حَركة الروح.

تَخصّ رسالة المَلك فئة خاصّة من الشَعب: الضُعفاء وبائسيّ الأرض. ولا بدّ أن يخوض – لافتِداء هذه الفئة المُهمَّشَة – مَعركة حاسِمة ضدّ "شِرّير الأرض". وعليه أن يُجري "قضاءً" و"حُكماً" و"إبادَة".

ويَحتاج المَلك بطبيعة الحال، كي ينتَصر، إلى "أسلحة"... يستعين بها – وهي هنا ثلاثة: "البِرّ" و"الاستِقامة" و"الأمانَة".

في اللاهوت الربّانيّ، البِرّ هو في حِفظ الوصايا وتكريس الرَحمة الإلهيّة؛ والاستِقامة هي الحُكم بالفِطنة والاعتدال والوداعة؛ والأمانَة هي بالمُحافظة على عَهد المَحبّة والثَبات فيه. تَكون نتيجَة وثمَرة هذه الحكم "البارّ والمُستَقيم والأمين": إنتشار السَلام.

د – "السَلام الشامل"

"فيَسكُنُ الذِّئبُ مع الحَمَل
وَيربِضُ النَّمِرُ مع الجَدْي
ويَعلِفُ العِجلُ والشِّبلُ معًا
وصَبِيٌّ صَغيرٌ يَسوقُهما
تَرْعى البَقرةُ والدُّبُّ مَعًا
ويَربضُ أَولادُهما معًا
والأَسَدُ يَأكُلُ التِّبنَ كالثَّور
ويَلعَبُ الرَّضيعُ على حُجرِ الأَفْعى
ويَضَعُ الفَطيمُ يَدَه في جُحرِ الأَرقَم" (٦–٨).

يَذكر أشعيا لائحَة تَتضَمّن اثني عشر نَوعًا من الحَيوانات؛ ويصِف "التَعايُش السَليم" القائِم بينَ الحَيوانات الأليفة والوَحشيّة. تُشير هذه "اللائحَة الرَمزيّة" إلى أسباط إسرائيل الاثني عشرة التي سيَعُمُّها السَلام والأمان بفَضل مَجيء المَسيح الملك. ويَقود هذه الخَليقة السِلميَّة "رَضيع – فَطيم – صَبيّ": قد يكون – بنظر النبيّ – "حَزقيّا" بنُ "آحاز" الذي أصبَح راشِدًا واستَلم الحُكم مَع نوايا الاستِقلال... هل يرمز هذا الصَبيّ، في وسط الجنّة، إلى "آدمَ الجديد" والذي، بتَسمِيَته الحَيوانات كُلِّها، يَتسلّط بلُطف على جَميع أصفِيائِه؟

هـ – الخَلق الجَديد

"لا يُسيئونَ ولا يُفسِدون في كُلِّ جَبَلِ قُدْسي
لأنَّ الأَرض تَمتَلِئُ مِن مَعرِفَةِ الرَّبّ
كما تَغمُرُ المِياهُ البَحر!" (٩).

لا يُسيئونَ ولا يُفسِدون... تَستعيد هنا الخَليقة "براءَتها الأصليَّة" حيث لا مَكان بعدَ اليوم للخَطيئة والشَرّ. إنّه خَلق جَديد (لاحظ العناصر المذكورة: الأرض والمياه والبحر) تُميّزه "حالة جَديدة"...لم يحظَ بِها الخلق الأوّل ألا وهي: "**نَيل المَعرفة**"! المَعرفة التي حُرِمَ عنها آدم بسَبب مَعصِيَته والتي، بفَضل مَجيء المَسيح، ستَغمُر المَسكونَة كلّها[١]...

نطرح في **الختام** وفي ضوء ما سبق ثلاث تساؤلات:

– هويّة المَسيحيّ أن يَكون "مَلكاً": ماذا يَعني هذا اليَوم؟

– دَعوة المسيحيّ واحِدة: العيش حسَب مَواهبِ الروح: هل نرفع هذا التحدي وكيف؟

– ما هي العناصر "غير الأليفة" التي بحاجة إلى "ترويض" في مجتمعنا اليوم؟

(١) سيدشّن يسوع المسيح "ابنُ داود بنُ يَسّى"، بعدَ ثماني قرون، هذا الخلق الجديد، مُستعيدًا السَلام الفردوسيّ المَفقود، ومانِحًا، بسِرِّ فدائِه، "المَعرفة التامّة" لجَميع المُعمَّدين بروحه.